# سورة الصف

## مدنية، وآياتها ١٤ [نزلت بعد التغابن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

﴿لِمَ﴾ هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم، وفيم، وممّ، وعم، وإلام، وعلام. وإنما حذفت الألف؛ لأنّ ما والحرف كشيء واحد، وقع استعمالهما كثيرًا في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان. ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سمع: ثلاثة، أربعة، بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة، وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أنّ المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد فعيرهم. وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا، ففرّوا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلت ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر. وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم، فقتله صهيب وانتحل قتله آخر، فقال عمر لصهيب: أخبر النبّي ـ عليه السلام ـ أنك قتلته، فقال: إنما قتلته لله ولرسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم، فنزلت (١٥٨٩) في

---

١٥٨٩ ـ أخرجه الثعلبي في تفسيره.. كما في «تخريج الكشاف» (٤/٧).
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي من حديث صهيب قال «كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين ونكأ فيهم فقتله صهيب. فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلانًا. ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو بن عبدالرحمن صهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ـ الحديث». انتهى

المنتحل. وعن الحسن: نزلت في المنافقين. ونداؤهم بالإيمان: تهكم بهم وبإيمانهم؛ هذا من أفصح كلام وأبلغه[1] في معناه قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه كقوله [من الطويل]:

. . . . . غَلَتْ نَابٌ كُلَيْبٌ بَوَاؤُهَا[2]

ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا. ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره، دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه؛ واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه. ومنه قيل: نكاح المقت، للعقد على الرابة[3]، ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرًا، حتى جعل أشده وأفحشه. و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك. وعن بعض السلف أنه قيل له: حدّثنا، فسكت ثم قيل له حدثنا؛ فقال: تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله. في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ عقيب ذكر مقت المخلف: دليل[4] على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا. وقرأ زيد بن عليّ: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: «يقتلون» ﴿صَفًّا﴾ صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في تراصهم من غير فرجة وخلل ﴿بُنْيَٰنٌ﴾ رصّ بعضه إلى بعض ورصف. وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلًا؛ لأنّ الفرسان لا

---

(١) قال محمود: «هذا من أفصح الكلام وأبلغه، في معناه قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر... إلخ» قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس: وهو تكراره لقوله: (ما لا تفعلون) وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار: التهويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلًا لو قيل: كبر مقتًا عند الله ذلك، فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(٢) تقدم.

(٣) قوله: «على الرابة» هي بتشديد الباء كالدابة. وفي الصحاح: نكاح المقت كان في الجاهلية: أن يتزوج الرجل امرأة أبيه اهـ. (ع)

(٤) قال محمود: «ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل... إلخ» قال أحمد: صدق، والأول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ فالنهي العام ورد أولاً؛ والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرمًا معينًا: لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدًا، وفائدة مثل هذا النظم: النهي عن الشيء الواحد مرتين مندرجًا في العموم ومفردًا بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل، والله أعلم.

يصطفون على هذه الصفة. وقوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ﴾ حالان متداخلتان[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ منصوب بإضمار اذكر. أو: وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿تُؤْذُونَنِى﴾ كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي: تؤذونني عالمين علمًا يقينًا[2] ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي؛ لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله، علمًا بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأنّ من آذاه كان وعيد الله لاحقًا به ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن منع ألطافه عنهم[3] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف. فإن قلت: ما معنى (قد) في قوله ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون

---

(١) قال محمود: «قوله (صفًا كأنهم بنيان مرصوص): حالان متداخلتان» قال أحمد: يريد أن معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية؛ لأن التراص هيئة للاصطفاف، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «بين أنهم على عكس الصواب حيث قال: تؤذونني عالمين... إلخ» قال أحمد: أهل العربية تقول: إن «قد» تصحب الماضي لتقريبه من الحال. ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضي أيضًا على معنى التوقع، فلذلك قال سيبويه «قد فعل» جواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرونه، وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل مثل: ربما، كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع، فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه، وتكون «قد» في هذا المعنى نظيرة «ربما» في قوله: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فإنها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير، فلما أوردت «ربما» في التكثير على عكس معناها الأصلي في التقليل، فكذلك إيراد «قد» ههنا لتكثير علمهم، أي: تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلي في تقليل الأصل؛ وعليه [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفرًا أنامله ..... ..... ..... .....

وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الأصلي، ولا يقال: إن حملها في الآية على التكثير متعذر؛ لأن العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل؛ لأنا نقول: يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير، وهو تعبير صحيح. ألا ترى أن قوله: (ربما يود الذين كفروا) هو من هذا القبيل، فإن المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير، والله الموفق.

(٣) قوله: «بأن منع ألطافه عنهم» فسر الإزاغة بذلك بناء على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يريد الشر. ومذهب أهل السنة: أنه تعالى يريد الشر والخير، كما تقرر في محله. (ع)

علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

قيل: إنما قال: (يا بني إسرائيل) ولم يقل: يا قوم كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه[1]. والمعنى: أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وفي حال تبشيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ يعني: أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدم وتأخر. وقرئ: «من بعدي»، بسكون الياء وفتحها، والخليل وسيبويه يختاران الفتح. وعن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله، هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم أمّة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل. فإن قلت: بم انتصب مصدقًا ومبشرًا؟ أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم؟ قلت: بل بمعنى الإرسال؛ لأن ﴿إِلَيْكُم﴾ صلة للرسول، فلا يجوز أن تعمل شيئًا لأن حروف الجرّ لا تعمل بأنفسها، ولكن بما فيها من معنى الفعل؛ فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل، فمن أين تعمل؟ وقرئ: «هذا ساحر مبين».

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

وأيّ الناس أشد ظلمًا ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر، لأنّ السحر كذب وتمويه. وقرأ طلحة بن مصرف: «وهو يدعي»، بمعنى دعاه وادّعاه، نحو: لمسه والتمسه. وعنه: يدّعي، بمعنى يدعو، وهو الله عز وجل.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

أصله «يريدون أن يطفئوا» كما جاء في سورة براءة، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدًا له، لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك، كما زيدت اللام في: لا أبا لك، تأكيدًا لمعنى الإضافة في: لا أباك، وإطفاء نور الله بأفواههم: تهكم بهم

---

(١) قال الزمخشري: «وإنما قال (يا بني إسرائيل) ولم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له ـ صلوات الله على نبينا وعليه ـ نسب فيهم» قال أحمد: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لأن شعيبًا لم يكن من قوم من أرسل إليهم.

في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: هذا سحر، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه «والله متمّ نوره» أي متمّ الحق ومبلغه غايته. وقرئ: بالإضافة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ/ ٢/ ٢٢٠أ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الملة الحنفية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديان المخالفة له؛ ولعمري لقد فعل، فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام. وقرئ: «أرسل نبيه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿تُنجِيكُم﴾ قرئ مخففًا ومثقلاً. و﴿تُؤْمِنُونَ﴾ استئناف، كأنهم قالوا: كيف: نعمل؟ فقال: تؤمنون[1]، وهو خبر في معنى الأمر؛ ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا. فإن قلت: لم جيء به على لفظ الخبر؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين. ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك: جعلت المغفرة لقوّة الرجاء، كأنها كانت ووجدت. فإن قلت: هل لقول الفراء أنه جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وجه؟ قلت: وجهه أن متعلق الدلالة هو

---

(١) قال محمود: قوله (تؤمنون) استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الأول قيل: كيف نفعل؟ فقيل: تؤمنون... إلخ» قال أحمد: إنما وجه إعراب الفراء بما ذكر، لأنه لو جعله جوابًا لقوله: (هل أدلكم) فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم، فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته إياهم على الخير؛ وليس كذلك، إنما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة، فلذلك أول (هل أدلكم على تجارة) بتأويل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الإيمان والجهاد لا على الدلالة، وهذا التأويل غير محتاج إليه؛ فإن حاصل الكلام إذا صار إلى: هل أدلكم أغفر لكم، التحق ذلك بأمثال قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها، حتى كأنه قال، فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها. وللقائل أن يقول: قد قيل لبعضهم: أقم الصلاة فتركها؟ فالجواب عنه: أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال، جعل كالمحقق وقوعه مرتبًا عليه؛ وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم. وامتثالهم سببًا في المغفرة محققًا: عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة، والله أعلم.

التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد؛ فكأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ فإن قلت: فما وجه قراءة زيد بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ: «تؤمنوا... وتجاهدوا»؟ قلت: وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر، كقوله [من الوافر]:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالا[1]

وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية، فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ وهذا دليل على أن ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ كلام مستأنف، وعلى أنّ الأمر الوارد على النفوس بعد تشوّف وتطلع منها إليه: أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم[2] كان خيرًا لكم حينئذٍ؛ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم، فتخلصون وتفلحون ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرها بقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل وهو فتح مكة. وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ شيء من التوبيخ على محبة العاجل.

---

(١) لأبي طالب. وقيل: للأعشى، يقول: يا رسول الله، تفد، أي لتفد، فحذف لام الدعاء الجازمة للفعل لضرورة الشعر، وسوغ حذفها قرينة مقام الطلب؛ وإلا فحروف الجزم كحروف الجر لا تعمل وهي محذوفة إلا شذوذًا، كما صرح به السكاكي. هذا والحذف في نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أسهل لأن قرينته لفظية، وهي لفظ (قل) الدال على الطلب. وقيل: هو خبر بمعنى الدعاء، وخفف بحذف الياء؛ وقيل: إن ذلك في غير الفواصل والقوافي غير سديد، أي: فدى الله نفسك بكل نفس إذا خفت تبالاً من شيء. والتبال: هو الوبال، قلبت واوه تاء. ويروى بالجر، على أنه صفة أمر وليس بجيد.
البيت لأبي طالب في شرح شذور الذهب ص ٢٧٥ وله أو للأعشى في خزانة الأدب ٩/ ١١، وللأعشى أو لحسان أو لمجهول في الدرر ٥/ ٦١، أسرار العربية ص ٣١٩، ٣٢١، الإنصاف ٢/ ٥٣٠، الجنى الداني ص ١١٣، رصف المباني ص ٢٥٦، صناعة الإعراب ١/ ٣٩١، شرح الأشموني ٣/ ٥٧٥، شواهد المغني ١/ ٥٩٧، شرح المفصل ٧/ ٣٥، ٦٠، ٦٢، ٩/ ٢٤، الكتاب ٣/ ٨، اللامات ص ٩٦، مغني اللبيب ١/ ٢٢٤، المقاصد النحوية ٤/ ٤١٨، المقتضب ٢/ ١٣٢، المقرب ١/ ٢٧٢ همع الهوامع ٢/ ٥٥.

(٢) قال محمود: «معناه: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرًا لكم... إلخ» قال أحمد: كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر؛ لأن علمهم لذلك محقق. إذ الخطاب مع المؤمنين، والظاهر أنه من وادي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ والمقصود بهذا الشرط: التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال وإلهاب الحمية للطاعة، كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه: إن كنت حرًا فانتصر، تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير، والله أعلم.

فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قلت: على ﴿نُؤْمِنُونَ﴾ لأنه في معنى الأمر، كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك. فإن قلت: لم نصب من قرأ نصرًا من الله وفتحًا قريبًا؟ قلت: يجوز أن ينصب على الاختصاص. أو على تنصرون نصرًا، ويفتح لكم فتحًا. أو على: يغفر لكم ويدخلكم جنات، ويؤتكم أخرى نصرًا من الله وفتحًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قرئ: «كونوا أنصار الله وأنصارًا لله». وقرأ ابن مسعود: «كونوا أنتم أنصار الله». وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم. فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه ـ وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا بقول عيسى ـ صلوات الله عليه ـ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح. والمراد: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهًا إلى نصرة الله، وإضافة ﴿أَنصَارِىٓ﴾ خلاف إضافة ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فإنّ معنى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: نحن الذين ينصرون الله. ومعنى ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله؛ ولا يصح أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه: قراءة من قرأ: «من أنصار الله». والحواريون أصفياؤه وهم أوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلاً؛ وحواريّ الرجل: صفيه وخلصانه[2] من الحوار وهو البياض الخالص. والحوّاري: الدرمك. ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي» (١٥٩٠) وقيل: كانوا قصارين يحوّرون الثياب

---

١٥٩٠ ـ أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «الكبرى» (٥/ ٦٠) كتاب المناقب: باب الزبير بن العوام حديث =

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا... إلخ» قال أحمد: كلام حسن وتمام على الذي أحسن: أن يميز بين الإضافتين المذكورتين: بأن الأولى محضة والثانية غير محضة، فتنبه لها، والله الموفق.

(٢) قوله: «وخلصانه» أي خالصته، يستوي فيه الواحد والكثير، كذا في الصحاح. وفيه الدرمك: دقيق الحواري. وفيه أيضًا: والحواري ما حور من الطعام، أي بيض. وهذا دقيق حواري، وكل هذه بالضم كما أفاده الصحاح. (ع)

يبيضونها. ونظير الحواري في زنته: الحوالي: الكثير الحيل/ ٢/ ٢٢٠ب ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ منهم بعيسى ﴿وَكَفَرَت﴾ به ﴿طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا﴾ مؤمنيهم على كفارهم، فظهروا عليهم. وعن زيد بن عليّ: كان ظهورهم بالحجة.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه» (١٥٩١).

---

= (٨٢١٢) من حديث جابر.

وأخرجه البخاري (٧/ ٩٩): كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير بن العوام حديث (٣٧١٩) ومسلم (٤/ ١٨٧٩): كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل طلحة والزبير حديث (٤٨/ ٢٤١٥) من حديث جابر لكن بلفظ إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير.

قال الحافظ:

أخرجه النسائي من حديث جابر وهو في الصحيحين بلفظ «لكل نبي حواري وحواريي الزبير».

١٥٩١ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.